Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

أدب الرحلات العربي في نيجيريا: شعر إسحاق أيوب ببأويَي أنموذجا

Arabic Literature of Travelogue in Nigeria: A Case Study of Ishaq Ayyub Baba-Oye's Poems

JamiuSaadullahAbdulkareem
Department of Arabic, Faculty of Arts, University of Ilorin, Ilorin, Nigeria
abdulkareem.js@unilorin.edu.ng

الملخص

يعتبر أدب الرحلات العربي أحد الفنون الأدبية التي عني بها الأدباء النيجيريون منذ القرن العشرين الميلادي، ولا سيما لإفادته القراء بمعلومات الجغرافيا والتاريخ والاجتماع، وفاعلية تسجيله لتجارب الرحَّالة الذين ارتحلوا لتغيير البيئة، وطلب المزاج، والتبادل الفكري، والاكتشاف العلمي، والتماس مرافق العيش، فسجَّلوا مشاهداتهم ومشاعرهم ومواقفهم في كلِّها بالشعر أو النثر. ويهدف البحث إلى دراسة نماذج من شعر السيد إسحاق أيوب ببأويَي للرحلة، مركزا على ديوانه بعنوان "القلم الأخضر في زيارة الأزهر"، وقصيدته بعنوان "استغِلَّ هذا المجال للتعرف على قرية العربية بإنغال"، وقد تم اختيار هذين العملين الرحليين لعلم الباحث أنهما لم ينالا عناية دارسي العربية بنيجيريا حتى الوقت الراهن. وكان استعمال المنهج التاريخي لدراسة تاريخ أدب الرحلات العربي وأعلامه في نيجيريا ولدراسة ترجمة حياة الشاعر المختار. وتم توظيف المنهج الوصفي لدراسة عمله الأدبي من حيث عرض المضامين، وتسليط أضواء على مقدرة الشاعر في وصف المظاهر الطبيعية، والأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والهندسة المعمارية المركوبة والمسكونة، والمشاهدات والوقائع والمواقف الفردية. وتوصل المقال إلى أن الشاعر ذو مقدرة علمية وملكة فنية في الإيفاء بمتطلبات الوصف الرحلي الذي يتطلب توخي دقة المضمون وروعة الشكل؛ ولذا اقترح للقراء مراجعة العمل لمنافعه العلمية والفنية.

الكلمات المفتاحية: الأدب، العربي، الرحلات، نيجيريا، إسحاق ببأويَي.

Abstract

The art of travelogue is one of the Arabic literary trends in Nigeria, as scholars admired it since the twentieth century by writing poetry or prose, due to its aim at imparting the knowledge of geographical descriptions, historic facts and societal development in the readers and documenting the scholars' experiences from various travels which could be for the acquisition of ascetic, cultural, diplomatic and socio-economic values, The main objectives of the study were to determine the extent at which the selected literary works of Is-haq Ayyub Baba-Oye, as a case study, met the requirements of the art of travelogue with contents analysis. The selected poet, is considered as one of the admirers of the art of travelogue, as proven by his two literary works on travels to Ngala-Maiduguri of Nigeria and Cairo of Egypt Republic. The methodology adopted is both historical and descriptive. It is historical by presenting the background of the art of travelogue in the Nigerian Arabic literature, then identification of scholars involved, followed by the biography of the poet. It is descriptive, as contents of selected works were unveiled while discourse analysis of the artistic and critical features was handled with formative and thematic measures. It was noticed that the author did the justice to the genre to his best capability, therefore, the work is recommended for readers for the benefits of the contents and embellishments.

Keywords: Arabic, Literature, Travelogue, Nigeria, Is-haq Baba-Oye.

Article History:
Received: 2/10/2021 Accepted: 8/10/2021 Published: 10/11/2021

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

المقدمة

الرحلات نشاط حضاري فعَّال، يؤثِّر في حياة البشر الثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية، من فاعلية تغيير البيئة للمزاج والتبادل الفكري، والاكتشاف العلمي، والتماس مرافق العيش؛ فسجَّل أدباؤها مشاهداتهم ومشاعرهم ومواقفهم في كلِّها بالشعر أو النثر، فهو ما يسمى أدب الرحلات –على الرغم من امتزاجه بعلوم الجغرافيا والتاريخ والاجتماع والفلك. ومن الجدارة بمكان أن يُقرَّ الباحث أنه لم يزل للأدب العربي قدم راسخة في الرحلات عبر العصور، إلى جانب ما يتمتع به من عناصر التشويق، ومظاهر الدقة والإيحاء، وجودة التصوير والبعد الخيالي، والإيقاع الموسيقي في جميع الأفكار العلمية المعبَّر عنها بالتجميل الفني.

وقدَّر الله للوطن النيجيري مشاركته الفعَّالة في دفع العجلة لأدب الرحلات العربي إلى الأمام منذ القرن العشرين الميلادي باعتبار النضوج والابتكار، وموضوعية الاستقلال دون تضمينه في الأغراض الشعرية الأخرى. وكثرت نماذج أدب الرحلات العربي –في شعره ونثره– وتدفقت في هذا القرن الحادي والعشرين، إذ زخرت المكتبة الأدبية العربية النيجيرية بها على أيدي كتَّابها، ومنهم السيد إسحاق أيوب ببأوبي بقصيدته الأولى المعبِّرة عن رحلته إلى قرية العربية بإنغال النيجيرية مع زملائه الطلاب بجامعة إلورن ومشرف برنامج التبادل الثقافي بقسم العربية للجامعة. وقد عنون القصيدة بـ "استغلَّ هذا المجال للتعرف على قرية العربية بإنغال" في حدود خمسة وثلاثين بيتا من البحر الطويل وروي الراء. وكتب الله للشاعر رحلة أخرى إلى القاهرة لحضور دورة الأئمة والوعَّاظ العالمية للعام ٢٠١٦م الميلادي، فوضع ديوانه "القلم الأخضر في زيارة الأزهر" للكشف عن المشاهدات والوقائع والمواقف الفردية بشتى الاتجاهات التي منها الاقتصادي والاجتماعي والوصفي والعلمي والثقافي وغيره.

هذا، وفي ودِّ الباحث عرض مضامين القصيدة للرحلة الأولى، والديوان للرحلة الأخرى، مع تسليط أضواء ملموسة على مهارة الشاعر ومقدرته الدقيقتين في وصف المظاهر الطبيعية، والأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والهندسة المعمارية المركوبة والمسكونة، كما سيلمسه القارئ في ثنايا المقالة التي ستقضي أوطارها فيما يلي:

- مشكلة البحث وأهدافه وأهميته.
- مفهوم الرحلات وتطورها في التاريخ الأدبي العربي.
- أدب الرحلات العربي في نيجيريا.
- ترجمة حياة الشاعر إسحاق أيوب ببأوبي.
- الدراسة الوصفية للنموذجين في أدب الرحلات العربي عند الشاعر.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

مشكلة البحث وأهدافه وأهميته

عني الإنسان بحب الاستطلاع والمغامرة والتشوق الشديد إلى استكشاف المجهول، مما جعل الأدب الرحلي ذا أهمية كبيرة وعلى طراز ممتار من التطور الهائل منذ قديم الزمان على أيدي الأمم المتقدمة على تفاوت الآونة وحتى الوقت الراهن. وعلى الرغم من ذلك التطور فقد قلت عناية كتَّاب العربية النيجيريين بإبداع أدب الرحلات حتى أربعينيات القرن العشرين الميلادي، وعلى درب ذلك قلت الدراسات العلمية لنماذجها، مع العلم أن أدب الرحلة يُكتسب منه المعلومات الكافية عن البلاد المسافر إليها لإيجاد المقارنة والتواصل العلمي والثقافي بينها وبين بلاد الرحالين. ومن بين نماذج الأدب الرحلي التي لم تنل عناية الدارسين تانك القصيدتان اللتان كتبهما الشاعر إسحاق أيوب بَبأويَي للتعريف برحلتيه إلى إنغالا النيجيرية والقاهرة؛ ولذلك قصد الباحث دراستهما.

ومن أهداف الدراسة: إبراز رؤية أكاديمية فعَّالة لدى الشاعر خلال تراثه الأدبي، وتسليط ضوء بصيص على فعالياته الإنسانية ذات الجدوى، حيث قصد إحاطة وطنه بأهمية الانطلاق من شواطئ الجهل والزيغ والملل إلى مرافئ النجاح والخلود في الأمن والعلمي والأدبي والوعي الفكري والثقافي، ولا نستطيع أن نكافئه إلا بدراسة أدبه الرحلي وجعله منشورا للقراء، ولا سيما من ناحية الإبداع والتصوير.

وتتمثل أهمية هذا البحث لمحاولته خلق جو المشاطرة العاطفية لتجارب الشاعر من تركه البيت والأهل والأصحاب والبلاد لضمان حياة شعبه الدينية والعلمية والثقافية ليحرّرهم من ربقة الجمود ويأخذ بأيديهم إلى ما يناسب العصر ويواكب العمر من فقه الدين والحياة، إذ لم تكن رحلته إلا للانتظام في سلك حاضري دورة الأئمة والوعاظ الدولية بالقاهرة– مصر، فيستفيد معلوماتها لنفع العباد ورفع البلاد.

مفهوم الرحلات وتطورها في التاريخ الأدبي العربي

يعتبر أدب الرحلات العربي تلك النصوصَ الأدبية المستلهمة من الأسفار[١] ذات المغازي العديدة من السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والدبلوماسية، من مشاهدات أديب يعبِّر عن عواطفه وانفعالاته، نتيجة ما يمتلكه من عناصر التشويق الفني للمظاهر الطبيعية والعمرانية والدينية والتربوية والاقتصادية.

وإذاً، لا يخفى احتكاك هذا الفن مع علوم الجغرافيا والاجتماع التي تغذِّي العقول بوسيلة العناصر الفنية التي تشبع العواطف، كما اتضح مدى التداخل والتشابه فيما بينه وبين أدب الترجمة الذاتية، إذ الأديب الذي يصف لنا رحلته فهو يسجل لنا في آن واحد ترجمة حياة وملامح تجاربه الشخصية؛ فالسيرة الشخصية أدب كلي، والرحلات جزء منه.[٢]

١– مصلح الدين يوسف المرتضى: الاتجاهات الفنية في أدب الرحلة لعلماء بلاد يوربا– رحلتا "من إلورن إلى تمبكتو" و"هكذا ابتليت" نموذجا، ورقة السيمنار المقدمة للدكتوراه إلى قسم العربية، جامعة إلورن، نيجيريا، عام ٢٠١٧م، ص ١.

٢– إسحاق أيوب ببأويي: أدب الرحلات العربي، قصة "الرحلة" نموذجا، مخطوط، ص ٢–٣.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وكانت الأصول اللغوية لأدب الرحلة من: رحل عن المكان رحلا ورحيلا وترحالا إذا سار ومضى، ورحل البعير إذا جعل عليه الرحل،[١] والرُّحلة بضم الراء لما يرتحل إليه،[٢] وذو الرُّحلة والرِّحلة بضمها وكسرها إذا كان قويا على أن يرحل،[٣] والترحيل والارتحال لمعنى الانتقال.[٤] ومن المعنى الأخير ورد لفظ الرحلة بكسر الراء؛ قال تعالى: إيلافهم رحلة الشتاء والصيف.(سورة قريش:٢)

وفي التاريخ الأدبي العربي،لم تكن الرحلات الجغرافية عند العرب عن طريق النقل والرواية عن الآخرين السابقين، بل من طوافهم بالعالم الإسلامي وغيره، فاستطاعوا تقييد مشاهداتهم من أحوال الناس والعمران. وكذلك الرحلات البحرية التي رويت عن التجار والملاَّحين وهواة البحار كما فعل التاجر سليمان في المحيط الهندي، وكما فعل غيره في المحيط الأطلسي والبحرين الأحمر والأسود. ومن ثم نستفيد معلوماتٍ عن البحار وحيواناتها وأصدافها وأقوامها الساكنين على شواطئها. وصنو الرحلات الجغرافية والبحرية رحلاتٌ برِّيَّة قام بها الأمم في البلدان, حتى ما يجاوز منها حدود العالم العربي كأوربا والهند والصين والسودان وإفريقيا الوسطى والبلغار والمغول والسودان الغربي.[٥]

وتعني تلك البيانات أن الإنسان مجبول على حب الرحلات، وحتى لو تكون غير محسوسة فتكون عبر الخيال النومي أو التفكيري. وأما الرحلات الحقيقية فإنها بدأت ضيِّقة ثم اتسعت رقابها مع مرور الزمان، فهي بين الأساطير الأولى، وحوادث الحروب والفتوح القديمة، فأساطير ملوك مصر وغيرهم, ممن سجَّلوا رحلاتهم في آسيا والجزائر البريطانية وأسبانيا والروم، منتزعة بين الجغرافية والبرية والبحرية. ومن ثمَّ اكتشفوا معلومات جديدة مثل كروية الأرض، والعوالم المسكونة وراء البحار، ومناخات البلدان والأقاليم وطقوسها، فلم تزل تلك الرحلات تُذكَر في مسرحيات الكتَّاب وقصصهم وحقائقهم التاريخية.[٦]

وحديثاً ساعدت السفارات غير المفتورة بين الدول العربية والدول المجاورة على استقلال فُرَص ثمينة من حب الاستطلاع، لتسجيل المشاهدات والرسائل، كما رحل سلاَّم الترجمان بأمر الخليفة الواثق ٢٢٧هـ/٨٤١م للبحث عن سدِّ الصين وديار يأجوج ومأجوج من مباني الإسكندر, فتنوعت تلك الفرص إلى الأسباب السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية عند الغرب والعرب بين القطبين الشمالي والجنوبي. وكم نقرأ منذ القرن العشرين

١- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، مادة (رحل)، ط٤، عام ٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية-مصر, ص ٣٣٤.

٢- ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، مادة (رحل)، المجلد ٣، عام ١٩٥٥م، دار المعارف، كورنيش النيل القاهرة، ص ١٦٩.

٣- لويس معلوف اليسوعي: المنجد في اللغة والأعلام، مادة (رحل)، ط ١٢، عام ١٩٨٦م، المكتبة الشرقية، ساحة النجمة-بيروت، ص ٢٥٣..

٤- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٥- شوقي ضيف: الرحلات، ط ٤، عام ١٩٥٦م، القاهرة ، ص ٥-٦.

٦- المرجع نفسه، ص ٧-٨.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الميلادي من روايات فنية تُعتبر نماذجَ أدب الرحلات العربي في الفن القصصي ممَّا يبرهن عن حب العرب والمستعربين للمغامرات والمجازفات.(١)

ومن نماذج الرحلات الجغرافية عند العرب: كتاب المسالك والممالك وكتاب صورة الأرض لابن حوقل في القرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي، وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لأبي عبد الله المقدسي، وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله الإدريسي في القرن الخامس الهجري أو الحادي عشر الميلادي، وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني في القرن السابع الهجري أو الثالث عشر الميلادي.

وأما الرحلات البحرية فمن نماذجها رحلة التاجر سليمان في القرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي، وكتاب عجائب الهند برِّه وبحره وجزائره للمستشرق بزرك بن شهريار الناخداه.

ومن أعلام الرحلات البرية إلى البلدان: أبو حامد الأندلسي في شرق أوربا في القرن السادس الهجري أو الثاني عشر الميلادي، وأسامة بن منقذ بين الصليبيين, وأحمد اليعقوبي في كتابه "البلدان"، والذي رحل في الهند, وبين قندهار والصين، وفي السودان الغربي, ومن أعماله كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، وكذلك عبد اللطيف البغدادي بكتابه "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر"، ثم رحلة ابن جبير الأندلسي الذي رحل في الأرض المقدسة والديار المصرية والعراق والشام قبل العودة إلى وطنه، ورحلة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري أو الرابع عشر الميلادي.(٢)

وفي تاريخ النهضة الأدبية الحديثة نماذج أدب الرحلات عند شهاب الدين الألوسي، ومحمد بيرم التونسي، وإبراهيم النجار، ومحمد النسوي، ومحمد عمر التونسي، وسليمان البستاني، وأحمد فارس الشدياق صاحب كتاب "كشف المخبا عن فنون أوربا" وكتاب "الواسطة في معرفة أحوال مالطة"، ثم عبد الله فكري صاحب كتاب "إرشاد الألباب إلى محاسن أوربا"، وأحمد زكي صاحب كتاب "السفر إلى المؤتمر". وكذلك المازني في كتابيه "رحلة الحجاز" و"ولدي"، وأمين الريحاني بكتابه "ملوك العرب"، وكرد علي بكتابه "غرائب العرب"، ومحمد فريد في رحلته "من مصر إلى مصر", ومحمد بن خوجة، ومحمد الحضر حسين، وعلي الورداني، ومحمد مقداد الوشتاني، والبتانوني، وأحمد حسين، ومحمد حسين هيكل، وعبد الوهاب غرام، ومراد كامل، وطه حسين صاحب كتاب "صوت بارس", ومحمد ثابت بكتابه "جولة في ربوع أفريقيا بين مصر ورأس الرجاء الصالح" عام ١٩٣٣.(٣)

وعلاوةً على تنوع الرحلات إلى البرية والبحرية والجغرافية، واستناداً إلى اتجاهاتها السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، فإن أدب الرحلات يتميز بخصائص منها: صفة التنوع والشمول، والعرض الدقيق المستند إلى

١- المرجع نفسه، ص ٩-١٠.

٢- المرجع نفسه، ص ١١-١٢٢.

٣- سليمان صالح الإمام الحقيقي الإلوري: أدب الرحلة عند العلامة الإلوري، ط١، عام ٢٠١٠م، مكتبة جمعية الأبرار، كنو-نيجيريا، ص ٩٢-٩٥.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الاختيار الشخصي والمشاهدات الواقعية، والرأي الممحض، والاتجاه نحو تحري الحقيقة في الوصف والتصوير، والالتزام بتجلية الفكرة، والأسلوب الحي المتحرك للسرد، وحبكة القصص وطرافة الحديث، وكذلك الأمانة في نقل التجربة الشخصية، وجمال الخيال، والعاطفة الصادقة، والأصالة والاعتدال، والاستعانة بالاستدعاء والتلميح من أسماء الأعلام والأماكن والرموز المستحدثة والشخصيات التاريخية، وجزالة الألفاظ وقوة المعاني.(١)

أدب الرحلات العربي في نيجيريا

يُعَدُّ أدب الرحلات لونا جديدا ونهضة فنية في الأدب العربي النيجيري منذ أربعينيات القرن العشرين الميلادي، من الأسفار العلمية والدينية والدبلوماسية. وأشهرها في ثنايا التاريخ الأدبي ما قام به العلماء إلى شمال أفريقيا والشرق العربي من الحجاز والعراق ومصر وتونس وليبيا والسودان والقدس. (٢)

ولعل أسباب افتقاد نوع أدب الرحلات من أعمال أولئك العلماء حتى العهد المذكور في القرن العشرين، لعلَّها تكمن في الواقعة أن الحياة العلمية الثقافية التي عايشوها في العصور السابقة كالبرنوي والونغري والمغيلي والفلاني، هي الخضوع لما تتطلب بيئتهم منهم من المنهج الدراسي الذي لم يقتض المهارة الفنية، إذ هدفهم نحو دراسة الأدب لم يكن لحدِّ ذاته لكن للغرض الديني، فلم يمكن كذلك الفرق بين العلماء والأدباء، إذ كلهم كانوا يدرسون الدين واللغة والأدب.(٣)

وكذلك في العصر الفلاني، علماً بأن حياتهم عهدئذ لم تتكلف جهد رحلةٍ خارج نطاق المنطقة... إذ يتوارد عليهم العلماء الأجانب من المشارقة لتعليمهم، ومن عدم توفر وسائل السفر، واشتغال العلماء بالحركات الإصلاحية تحت زعيمهم الشيخ عثمان بن محمد فودي الفلاني الذي لم يخرج مترحلا عن نطاق حدود دولته.(٤)

ومن أعلام الرحلات الثقافية والدينية في نيجيريا: الوزير جنيد الذي أُرسِل مع وفد الحكومة النيجيرية إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٥م. ومن آثاره في الرحلات: رحلة إلى أغدس، ورحلة غينيا والسنغال والمغرب الأقصى وليبيا، وجرُّ الذيول على منازل يولا، وتفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس، وإتحاف الحاضر بمرائي المسافر، والرحلة الفاخرة إلى ليبيا والسودان والقاهرة،(٥) وقصيدة في وصف الطائرة والتي منها:

خرجنا بعون الله في غلس إلى الـ ** ـمطار وكنا كالطيور البواكر(٦)

١- المرجع نفسه، ص ٤١-٤٢.

٢- خليل الله محمد عثمان بودوفو: دراسة تحليلية لمخطوطة "فتح الخلاق في الرحلة إلى مصر والحجاز والعراق"، مخطوط، ص ١.

٣- مصلح الدين يوسف المرتضى: المرجع السابق، ص ٧.

٤- سليمان صالح الإمام الحقيقي الإلوري: المرجع السابق، ص ٩٧.

٥- المرجع نفسه، ص ١٠٠-١٠١.

٦- شيخو أحمد سعيد غلادنثي: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط٢، عام ١٩٩٣م، الرياض، ص ١٥٤.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

ثم قوله:

يا من يصعِّد أنفاسا بأنفاس ** شوق بخرطوم ذات الورد والآس[١]

ثم العلامة آدم عبد الله الإلوري في قصيدته اليائية التي تنص على رحلته إلى مصر ومنها:

أيا قاصدا أرض نيجيريا أبلغن ** سلامي إلى أصحابها متراضيا

وقل لهمُ أني أعود إليهمو ** إذا عسعس الليل تر الصبح آتيا

ويوم تركنا الأهل يوم مكدَّر ** ولكن قلبي للعلا كان ناويا

وصلنا إلى الخرطوم بعد مشقة ** نحاول إذنا عند من كان ناهيا

إلى أن أجزنا أرض السودان كلها ** وصرنا إلى الشلاَّل نطوي الفيافيا

وها أنا هذا اليوم في مصر بالهنا ** وكان ابن مَنْبَولا معي سعدُ تاليا

عسى الله يُنْجينا إلى مستقرّنا ** بخيرٍ ويكفينا الخنا والمخازيا[٢]

ومن بعده إمام مدينة بوشي الشيخ محمد بن محمد بلو الملقب بسَرْكن التفسير في رحلته مع الأمير يعقوب بن عمر إلى لاغَوسْ عام ١٩٤٦م، والشيخ محمد الثاني حسن كافَيْغا صحب ديوان "نيل الأماني" في رحلته إلى مدينة الكولخ، والشيخ تيجاني عثمان رَنغُونُ بَرَي بَرَي الكنوي في رحلته إلى مقطعة بَرْنَنْ كُدُ "الرحلة الكدوية"، وإلى الكولخ "النفحات الإلهية في الرحلة الكولخية"، والشيخ ناصر كبَرَ زعيم الحركة القادرية في غرب أفريقيا عموما بقصيدته "سلسبيل السنة في نفت كيسان شراب"، وكذلك الشيخ عثمان القلنسوي في منظومته "الروائع في بيان الرحلة القلنسوية" في رحلته إلى جمهورية السنغال لزيارة الشيخ إبراهيم الكولخي. ثم الشيخ مصطفى الهوسوي في رحلته السياحية "نشيد النزهة التغوية"، والشيخ أبوبكر المسكين البرنوي، والشيخ محمد فَنُ الكنوي في منظومته "رحلة الأنيس في ذكر رحلة الشيخ سيس"، والشيخ أبوبكر سَنكا في رحلته إلى مكة المكرمة لقضاء مناسك الحج بكتابه "الطيارة بقاصد الزيارة"، والشيخ أبو رمضان ثَدْثَنْ نَغاوا، وأحمد الرفاعي أبوبكر الكنوي، والشيخ محمد مَيْماسا الإلوري بمخطوطته "فتح الخلاق في الرحلة إلى مصر والحجاز والعراق" عام ١٩٧٦م، والشاعر عيسى ألبي أبوبكر في رحلته إلى "غانا" وإسحاق أيوب ببأوبي في قصيدته "استغلَّ هذا المجال للتعرف على قرية العربية بإنغال" عام ٢٠٠٠م، وكتابه "القلم الأحضر في زيارة الأزهر" عام ٢٠١٦م، وكذلك السيد إبراهيم صالح الفلاني الإلوري في سفره العلمي والثقافي إلى تشاد عام ٢٠٠٢م, ونجل الوزير جنيد محمد ثنمبو بكتابه "نزهة المغترب من قري المغرِّب" عام ٢٠٠٣م، والسيد موسى سلمان الفارسي في قصيدته "وصف الرحلة العلمية إلى إنغالا"، والسيد أمين الله آدمو الغمبري، والسيد سليمان الحقيقي في رحلته إلى المدينة المنورة "في رحاب المدينة"، والأستاذ يهوذا

١- المرجع نفسه، ص ١٥.

٢- آدم عبد الله الإلوري: لقطات، جمع وترتيب هيئة التدريس بمركز التعليم العربي الإسلامي، أغيغي-نيجيريا، مخطوطة، ص ٤ وما بعدها.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

أحمد غيطو في قصيدتيه "أشواق الوصال" و"نعيم الجنتين لزائر الحرمين"، والأستاذ نوح إبراهيم باز الله الإلوري في رحلته إلى ليبيا وأكدس ومالي، والسيد محمد القاسم إبراهيم أبولاجي بقصيدته "أرض الكنانة"، والأخ موسى محمد الجامع الفلاني بمسرحيته "رحلة إلى مصر"، والأخ منير الدين صلاح الدين الرياضي "هكذا ابتليت"، والسيد عبد الرفيع أسليجو بقصيدته "الحج جامعة كبرى"، والسيد إسحاق شعيب الجيلي بقصيدته "زرت مكة".[١]

ومن كتَّاب الفنون القصصية باتجاه الرحلات: السيد مرتضى بن عبد السلام الحقيقي بكتابه "السنة" عام ٢٠٠٦م عن رحلته إلى جمهورية النيجر، والسيد علي عبد القادر العسلي بكتابه "الرحلة" عام ٢٠٠٩م, والسيد مشهود محمود محمد جمبا الكثير الآثار في أدب الرحلات في القرن الراهن بنيجيريا، ومن أعماله الفنية "من إلورن إلى تمبكتو" عام ٢٠٠٩م، و"نيل المرام بزيارة مدينة درهام"، و"خلاصة الأخبار في زيارة ولاية أدرار" عام ٢٠١٥م.

ترجمة حياة الشاعر إسحاق أيوب ببأويي الإلوري:

هو الشاعر إسحاق بن أيوب بن خضر بن محمد الثاني الإلوري. ولد بمدينة إلورن في سبعينيات القرن العشرين الميلادي، وتعلم القرآن الكريم عند والده الشيخ أيوب وأكمله في السابع من عمره، ثم حضر المدرسة الابتدائية الحكومية عالورى –أوكي أبومو بإلورن، ومنها التحق بمركز التعليم العربي الإسلامي أغودي –إلورن حيث حصل على شهادتي الإعدادية عام ١٩٨٩م، والثانوية عام ١٩٩٢م. حصل على الدبلوم في اللغة والدراسات الإسلامية عام ١٩٩٦م من كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية بإلورن وهي تابعة لجامعة بايرو –كنو. نال شهادة الليسانس في اللغة العربية بجامعة إلورن عام ٢٠٠٢م، والماجستير بالجامعة نفسها عام ٢٠١١، كما حصل على شهادة الدبلوم في التربية المهنية بكلية التربية بإلورن عام ٢٠١٢م،[٢] وحصَّل الدكتوراه بالجامعة السالفة عام ٢٠١٧م. له مقالات أكاديمية منشورة، ومؤلفات علمية وأدبية كثيرة، عين رئيساً لهيئة الأدب الإسلامي بإلورن منذ عام ٢٠٠٤م.

بذل الشاعر إسحاق ببأويَي جهودا كبيرة فائقة في تعاطي الشعر العربي بنيجيريا، وشاع صيت شاعريته في حلقات الأدباء، وأنديتهم الأكاديمية، فضلا عن الفعاليات الأدبية، وافتنت قصائده في شتى الأغراض الشعرية، كالمدح والرثاء والفخر والوعظ والإرشاد والحماسة الوطنية، منها ما كانت ورقة أو ورقتين فصاعدا، فيها عدة أبيات أو قصائد جميلة رائعة منشورة إلى مختلف البقاع والمناطق، ومن أروعها شيوعا: قصيدة قالها لمرثية الشيخ

١- سليمان صالح الإمام الحقيقي الإلوري: المرجع السابق، بين ص ١٠٢-١٠٥, وبين ص ٣٣-٣٦.

٢- جامعة ولاية كوارا- مليتي: "ترجمة الشاعر" في مجموعة حصاد المأدبة، الإصدار الأول، ط١، عام ٢٠١٤م، مطبعة الجامعة, مليتي- نيجيريا، ص ٣٠.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الفاضل آدم عبد الله الإلوري عام ١٩٩٢م، وقصيدته في مهرجان المسابقة الشعرية لمناسبة عيد الخمسين عاما من تأسيس مركز التعليم العربي الإسلامي، أوكي- أغوديبي، إلورن- نيجيريا عام ٢٠١٦م، وقصيدته لتهنئة فضيلة الشيخ آدم يحيى الفلاني بمناسبة حصوله على وسام الآداب والفنون في همسة- مصر عام ٢٠٢١م. ومن مؤلفاته في الشعر العربي تخميس قصيدة قبا الذي شاع صيته في نيجيريا، يليه قصيدتاه الرحليتان اللتان هما نطاق هذه الدراسة.

الدراسة الوصفية للنموذجين من أدب الرحلات العربي للشاعر

يحاول الباحث تسليط أضواء على مظاهر المقدرة الوصفية التي أتيح الشاعر إسحاق أيوب ببأوبي إياها، من حيث عطاياه الثمينة في وصف المظاهر الطبيعية، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، والهندسية المعمارية الحضارية والرجالات الثقافية التاريخية.

ويبدو للباحث أن القصيدة بعنوان "استغل هذا المجال للتعرف على قرية العربية بإنغال"، والديوان الشعري بعنوان "القلم الأخضر في زيارة الأزهر" لمرآة ناصعة تعكس جدية التفنن ووضوح منتهى التبحر في الأسلوب الوصفي الذي أوتي الشاعر قيادته، حتى امتلك التذوق العميق على الطراز الممتاز. فالوصف ضروري في الصناعة الأدبية، ولا سيما أدب الرحلة الذي لا يزال يفتقر إليه في تحسين الإبداعات، وصفا دقيقا للمظاهر الطبيعية، والهندسة المعمارية، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وصف المظاهر الطبيعية:

ومثلا في وصفه للمظاهر الطبيعية, نسمعه مُخبِرا عن مدى حزنه وبكائه في ترك البيت مسافرا, إلى أن صار هو وزملاؤه جيران الدود والحشرات والعقارب والحيات, مما هي حيوانات البيد الفيافي فقال:

نزلنا جوار الدود والحشرات والـ ** ـعقارب والحيات هل من مناصر؟
سوى من له البيداء عرضا وطولها ** كذا الأفق نجّى القوم من شرِّ ضائر
ويا ليت قومي لو دروا مالنا بها ** ولو شاركونا في تعاطي المشاعر
وقد نتناسى ثم نذهل لسعة الـ ** بعوضة والآلام حلف الستائر[١]

وللشاعر قصيدة مستقلة بوصف الأهرام التي هي جبال صناعية في شكل خاص، وهي مقابر ملكية في الحضارة المصرية القديمة، وتقع على هضبة الخيرة في محافظة الجيزة المحلية على الضفة الغربية لنهر النيل، بنيت حوالي خمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد، وهي إلى هرم خوفو الكبير، وهرم خفرع المتوسط، وهرم منقرع الصغير،[٢] ويقر

١- إسحاق أيوب ببأوبي: قصيدة "استغل هذا المجال.." مخطوطة، ص ١.

٢- إسحاق أيوب ببأوبي: ديوان "القلم الأخضر.." ط، عام ٢٠١٦م، مطبعة كيوداميلولا لخدمات الكمبيوتر والطباعة، إلورن، ص ٢٤.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الشاعر تلك الأوصاف الدقيقة لها بقوله, متخيلا ضخامتها ومعجبا بها، ومنتهيا إلى أنها من عجائب الدنيا التي تعرفت عليها الأعراب، ومن آثار عجبها استحالة ركوب أبعادها على الرغم من كونها صناعية:

أهرام جيزة أعجب العجاب ** في وصفها ضرب من الإسهاب
وتخيَّلْها كيف شئت فإنها ** زمر العرافة عند ذي الأسباب
هي من عجائب هذه الدنيا التي ** جلَّت حوادثها لدى الأعراب
هبها أمامك يا أخا الإنشاد أو ** مثِّل ضخامتها بدون حساب
لو قلتَ: إني راكب أبعادها ** فلقد هلكت علائق القبضاب
إبداعها من سالف الأزمان من ** قبر الملوك فراعن الأقطاب
للملك خوفو، خفرع أهرامهم ** متقرع الأثلاث في الأنساب(١)

ولنسمعه في وصف البحر الأبيض المتوسط، والذي تكتافها الأسماك والتماسيح, وهو يتوسط بين نهر الفرات في الشرق، والبحر الأحمر في الغرب، والبحر الهندي في الجنوب. ويا حبذا ما له من الطول والعرض مع زخارة موجه حيث يصطاد الفلاحون ويتملح الملاحون، وقد يفيد التنزه بجوه المرتاح الواقع في إسكندر؛ كل ذلك هو ما ذكره الشاعر في قوله:

بجزيرة العرب الكرام بحارها ** تكتافها الأسماك والتمساح
يختاطها نهر الفرات بشرفها ** وبغربها حمر البحار قراح
بحر الهنود جنوبها في حيطة ** وله من العرض الطوال فساح
بشمال مصرٍ بحر أبيض ماؤه ** والفلك في أثنائه ترتاح
أبيض بحر زاخر أمواجه ** يصطاده الفلاح والملاح
اقصد جوار البحر في إسكندر ** حيث التنزه جوه مرتاح(٢)

وصف الهندسة المعمارية:

ولا يزال الشاعر يصطفُّ في صف المعجبين بكل ما يروق من صنائع المهندسين المركوبة والمسكونة؛ ولذا يصف بدقة التعبير الهندسةَ المعمارية الهائلة التي أدَّت إلى استخدام السيارات للرحلات والأسفار –بالكثرة– بمثابة الأنعام التي كانت أدوات التنقل الوحيدة في العهد القديم، ومنها الخيل والبغال والحمير التي خلقها الله وسخَّرها للإنسان ليركبها ولتكون زينة له. ورحلة الشاعر –كما تبدو– لم تكن إلا بالسيارة التي وصفها أنها أسرع في عبورِ كثيرٍ من الولايات في حدود يومين, بخلاف الأنعام التي يكلفها السفر أياما كثيرة. والسيارة جديدة مبيضَّة رقمها

١– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
٢– المرجع نفسه، ص ٢٦.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

ABUJA XA 847-GWA، تَسَعُ خمسة عشر شخصا باستثناء السائق, وصلوا بها إلى قرية إنغال التي تبعد عن مدينة ميدغوري عاصمة برنو بمائة وستة وثلاثين كيلومتر، بينها وبين حدود كاميرون نحو ثلاثة كيلومتر. والشاعر يحيطنا علما بكل ذلك في قوله:

خرجنا بأمر الحقل جامعة البلد ** إلى قرية عربية في المظاهر
وتعدادنا في خمسة بعد عشرة ** وسائقنا بل مع سموِّ المحاضر
ومركبنا قد زوَّدتناه جامعه ** جديدا ومبيضًّا يسرُّ لناظر
وسبع ولايات عبرنا طريقها ** بيومين لما عين بل في المهاجر
كوار ونيجر بل كدونا وبعدها **كنو وجغاوا، يوبي، برنو الكوانر
توترت العزمات من بعد فتلها ** تخافتت الأصوات دون تشاور
وصلنا بإنغالا بُعيدَ متاعب ** تضهُّد ظهران ألوف البعائر
وصلنا بها الاثنين أيْ في مسائه ** وصول الحجاج بالمنى للشعائر(١)

وصنو السيارة من معالم الهندسة القطارُ الكهربائي Metro الذي ركبها الشاعر بالقاهرة، وقد استخرج من ركوبه عظاتٍ يعتبرها رشيدة للتفكر في صنع الله وللإتقان بفناء الدنيا وما فيها، إذ كانوا لا يزالون يسايرونه في مينائه على قبور الموتى، ذلك أن مسيره أقرب إلى القبور من الشوارع؛ ولكنه مع ذلك سريع السير من صناعات الصين الكهربائية؛ وسندرك كل ذلك في قوله:

أيتها المتْرو التي ** قد أذهلتْني سيرها
أُدرِجتُ في مينائها ** تحت الطباق لركبها
فسألت هل لذوي الحيا ** ة قبور موتى قومها
إذ كانت المترو تُرَ **كَّب بعضها بعضا لها
يا ويح من يركبها ** دون اعتبار وعظها
ينزل قوم عندما ** يعلو سواهم متنها
هذي طبيعة الحيا ** ة وموت من يرتادها
أبدعها الصين قطا ** ر الكهربا في سوقها (٢)

١- إسحاق أيوب ببأوبي: قصيدة "استغل هذا المجال.." مخطوطة، ص ١.
٢- إسحاق أيوب ببأوبي: ديوان "القلم الأخضر..."، ص ٢٥-٢٦.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وأما الهندسة المعمارية المسكونة، فهي ممتزجة بالثقافة العلمية، حيث يصف الشاعر المكتبات العامرة بالعلوم والمعارف، معجبا بطرق بنائها وتجديدها. فقال في شأن المكتبات والقاعات والأرْوِقة في قرية إنغال بعدد ذكر السبب الدافع إلى تحمل المشقات من السفر:

لما نستفيد من شعور ومنظر ** علوما وآدابا وكنز المآثر
ومكتبة فيها لجاحظ نسبةً ** وقاعات أعلام سطوعي المخابر
وأرْوِقة الطلاب ثم منازل الـ ** ـعمال لها أسماء شرق الحواضر(١)

ومثال ما سبق من القول، وصفه المكتبة الإسكندرية التي تقع في شمال مصر العربية بساحل البحر الأبيض المتوسط، والتي تبعد عن القاهرة بمائتين وثلاثين كلومتر، وفيها مُزارات الصحابي أبي الدرداء، وأبي العباس المرسي، والإمام البوصيري صاحب البردة.(٢) والمكتبة عامرة العلوم والفنون والمعارف على تنوع اللغات العالمية الراقية واختلاف الأمم والشعب، فهي قديمة من عهد بابل واليونان ومصر، مجددة الآلات النفاذة في الثقافة والحضارة، بالإضافة إلى معمارية أطباقها وقصورها, وشعاعة بلّورها في الشمس والقمر, وعراقة طوابيرها على كثرة ورَّادها وزوَّارها، فقال:

أسكندريةُ دارَ الكتب والعبر ** معمارها يزري بالقصر في البهر
أُعطيتِ حقا لورَّادٍ أتوك من الـ ** ـأسفار من أبيض أو أسود الصور
زوَّدت عقلهمُ بالعلم والحكم ** عن عهد بابل واليونان والمصر
فيها اكتشاف علوم الفن والفلك ** مع النجوم وعلم الدين والأثر
با حبذا كان الأسكندار مكتبةً ** حديثة الآلة النفاذة النِّبَر
أكثِرْ بها عند طابور الحصول على ** تذكار إيرادها في الليل والنهر
أطباقها عجب جناحها سمك ** يشعُّ بلّورها في الشمس والقمر (٣)

وصف الأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية:

وإلى جانب المظاهر الطبيعة والهندسة المعمارية بنوعيها، هناك وصف الأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في أدب الرحلات العربي للشاعر. ومثلا في قصيدته "استغل هذا المجال..." يقرُّ الشاعر الثقافة العلمية والأدبية بالعربية الراسخة القدمين في الوطن النيجيري منذ سبعة قرون قبل استعمار بريطانيا على البلاد، فتلك

١- إسحاق أيوب ببأويي: قصيدة "استغل هذا المجال.." مخطوطة، ص ١-٢.
٢- إسحاق أيوب ببأويي: ديوان "القلم الأخضر....."، ص ٢٥.
٣- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الثقافة هي التي كانت الأجيال المتعاقبة يتوارثونها كابرا عن كابر, يشهد لها اعتناء الشاعر وزملائه بالعلم, على الرغم من العوائق الاقتصادية والاجتماعية التي شرعت تحثو في طريق طلاب العربية في العهد الراهن، ولا سيما من محاولة الانجليزية أن تسيطر عليها وعلى رجالها، وكفى الله المؤمنين القتال. ومن آيات كل ذلك, ما ذكره الشاعر من حبهم الأثير للعلم وتوقير أعلامه فقال:

قصدنا طِلاب العلم والفن والحكم ** نواسي ببرد الصبح ألم الخواطر
وكلنا شؤون الأهل والشغل ربَّنا ** خليفةَ أهلٍ صاحبا للمسافر
جعلنا معالي الأمر نُصبَ عيوننا ** جعلنا بلوغ العلم فوق المفاخر (١)

وانتهى الشاعر إلى ذكر أسماء المحاضرين لشتى المواد الدراسية بقرية العربية في إنغالا، وهم: الأستاذ محمود عثمان رئيس قسم الصيفية ومدرس مادة المقالة، والأستاذ إبراهيم عمر الإلوري مدرس نصوص القرآن، والأستاذ شاكر شريف من أحفاد الشيخ أبي الفتح الميدغوري مدرس مادة المسرحية، والأستاذ الشاعر سعيد أبوبكر مدرس مادة تصريف الأسماء، والأستاذ إبراهيم عمر إلياس مدرس مادة القصة والرواية، والأستاذ أبوبكر آبا مدرس الأدب العربي بغرب أفريقيا، والأستاذ موسى علي كونا مدرس المدارس الأدبية، والأستاذ ناصر الدين مدرس العروض، والأستاذ إبراهيم القاضي مدرس الأدب العباسي، والأستاذ محمد الحسن الحسين رئيس قسم البحوث والدراسات الجامعية.(٢)

فلم يزل الشاعر يحزن على فراق أولئك الأساتذة وفراق القرية، لما يفتقده من المعارف والعلوم والآداب فقال:

وجمع من العلماء أعظِمْ بعلمهم ** يُغذُّوننا من مثلجات الضمائر
ألا يا رئيس القسم من سودان دي ** نميَّ الشؤون مقنعا بالبصائر
لكم من وفود العلم من بلدِ عالمٍ ** روائع طيبٍ تزدري بالعنابر
أقريتنا للضاد معذرة إذا ** هجرناكِ بعد الألفة من مسافر(٣)

وعلى الصورة السابقة، وضع الشاعر شتى القصائد في وصف الأوضاع الثقافة الراقية بمصر العربية، كما تشهد لها قلعاتها العلمية وأعلامها العباقرة. ومما قاله الشاعر عن الأزهر الشريف:

يأ أزهر سعد الورى بك يا تُرَى ** وسما بك العلم الأصيل وأكبرا
فيك اعتكاف أجلَّة العلماء وال ** حكماء في شرح العلوم تحرُّرا

١- إسحاق أيوب ببأوبي: قصيدة "استغل هذا المجال.." مخطوطة، ص ١.
٢- المرجع نفسه، ص ٢.
٣- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

فهم الأئمة في صفوف الأذكيا ** وهم الأعزة شأنهم لن يُنكَرا
منهاحه في الدرس دائرة المعا ** رف لو تفضلتَ السماع لتُخبَرا
يا دار إفتاء الورى في دينهم ** ما زلتِ تؤتين لقومك جوهرا
يا مخزن الكتب التي لا تُجتَلى ** إلا بفيك تضخما وتبحرا
وأشمُّ معمارا إلى عليائه ** راقت مناظره وأعلى منيرا
يا أزهر هل نرتضي لعلومنا ** إلاَّك بالكنز العطاء تحضُّرا
سعدت بك الأقطار في تهذيبهم ** وبقيت في عزِّ النماء تطوُّرا(١)

وعلى غرار ذلك، شرع الشاعر يصف أعلام العلوم والآداب والمعارف ويمدحهم بمهاراتهم الخاصة: كالشيخ أبي موسى البلاغي، والشيخ خولي برهم الناقد، والشيخ أحمد الهاشمي المحدِّث، والشيخ محمد ربيع الجوهري العقدي، والشيخ صبري محاضر الدراسات الشرقية، والشيخ زيدان الأصولي، والشيخ رمضان محاضر الفرائض، والشيخ حفنى محاضر تاريخ التشريع الإسلامي، والشيخ صابر الفقيه، والشيخ سعيد صلاح الدين عامر محاضر الفقه المقارن، والشيخ خالد عبد النبي عبد الرزاق محاضر مصطلح الحديث، والشيخ حسن الحميد المفسِّر، والشيخ جميل السيد هام، والشيخ محمود، والشيخ محمود صديق، والشيخ مذكور محمد علي محاضر القضايا المعاصرة، والشيخ محفوظ عقل الأديب، والشيخ فوزي مجوِّد القراءات، والشيخ زكي المصطفى محاضر الحضارة الإسلامية، والشيخ يوسف سليم الاقتصادي؛ تظهر أسماؤهم في قصيدته بعنوان "مع الأعلام".(٢)

وغير أولئك المذكورين أعلام القراءات المبعوثون من قِبَل شيخ الأزهر إلى مدينة البعوث الإسلامية الأزهرية للوافدين، يرأسهم الشيخ المقرئ عماد عبد الرحمن آل قشطة ممثل جمهورية مصر العربية، والشيخ المقرئ عبد الرحمن عبد العزيز عبد الله السديس إمام الحرم المكي؛ وقد مدحهم الشاعر بقوله:

يا فريق النور أهلا بالهنا **كنتمو أعلى الذرى في قلبنا
يا عماد الدين يا مقرئنا ** نلت كلَّ المجد في مصحفنا
دم إمام العلم في قبلتنا ** أنت في الإقراء روم عزنا (٣)

وكم نذكر من قصائد ارتجلها لترحيب المحاضرين ومدحهم وتقدير محاضراتهم، منها ما هي لترحيب الشيخ محمد ذكي رزق بداري الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بمشيخة الأزهر الشريف في زيارته التفقدية،(٤)

١- إسحاق أيوب ببأوبي: ديوان "القلم الأخضر...."، ص ٢٠-٢١.
٢- المرجع نفسه، ص ٢٦-٢٨.
٣- المرجع نفسه، ص ٢١-٢٢.
٤- المرجع نفسه، ص ٤١-٤٢.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وقصيدة وصف محاضرة الدكتور رمضان عبد الرزاق للثقافة الإسلامية المعاصرة،[١] وقصيدة وصف محاضرة الأستاذ الدكتور أحمد سلامة سبع لعلم الفرائض،[٢] وقصيدة وصف محاضرة الأستاذ الدكتور حسن أحمد حفنى في تاريخ التشريع الإسلامي،[٣] وقصيدة وصف محاضرة الأستاذ الدكتور خالد عبد النبي عبد الرزاق في علوم الحديث،[٤] وقصيدة ترحيب مشرفي الدورة الأستاذ نادر القاضي والأستاذ محمد عبد العبود،[٥] وقصيدة الوصف لحلقة أبي موسى.[٦]

وقدَّر الشاعر أهل العلم حق التقدير، ولذا نشهده مستعيدا أفكارنا إلى ذكر معالم الدين والتاريخ في الثقافة العربية بمصر، إذ حضر ذهنَه ذكرى الأقطاب في صون العلوم، وقد صاروا أجداثا، منهم الصحابة عمرو بن العاص وأبو ذر الغفاري والحسين بن علي، والإمام الشافعي وأبي العباس المرسي الصوفي والبوصيري والسيوطي وصلاح الدين الأيوبي؛ ومن القصيدة:

أفضت الدمع في عرصات قوم ** محامدهم تُجَلُّ ولا تُسام
لهم في صفحة التاريخ مجد ** يردِّده الأنام إذا استهاموا
هم الأقطاب في صون العلوم ** هم الأبرار شأوهمُ سنام
همُ في ساحة القرآن قوم ** عليه رباطهم بالدين قاموا [٧]

وعلى إثر ذلك، فوجئ بخبر وفاة الأستاذ الدكتور سيدي فرج عبد الحليم المتوفى في حادثة اصطدام السيارة بالقاهرة، شاطر الشاعر بقصيدته أبناءَ مصر في رثائها فقال أبياتا منها:

يا سيدي فرج الحليم جرحتنا ** جرح الحمام شعورنا باللذعة
يا مكنز الإعطاء في تعليمه ** أبشر فقد أحسنت عند العشرة
يا منبع الإلهام في إلقائه ** ومحرِّك الأذهان رغم السكتة
أرثيك بالشعر الحزين وقد مضى ** في سنة الأدباء قول الحسرة
لطف الإله بسيدي في قبره ** وأثابه عند القيام بنعمة
شاء الإله رثاءه في العالم ** سودا وبيضا من حضور الدورة[١]

١- المرجع نفسه، ص ٤٦.
٢- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
٣- المرجع نفسه، ص ٤٧.
٤- المرجع نفسه، ص والصفحة نفسها.
٥- المرجع نفسه، ص ٤٨.
٦- المرجع نفسه، ص ٣٤.
٧- المرجع نفسه، ص ٣٢-٣٣.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

ومن كبار العلماء المعاصرين بنيجيريا فضيلة الشيخ داؤد ألفنلا عبد المجيد أيليخا, فالذي يعتبر أحد حملة لواء الشيخ آدم عبد الله الإلوري في مسيرة الدعوة والفلسفة والعلم والأدب والثقافة في نيجيريا وغيرها من بين دول غرب أفريقيا الراهنة. وقد ارتجل له الشاعر قصيدة ترحيبية عند زيارته لوفد الدورة بالقاهرة:

أ بشرى زارنا خير الإمام ** ورمز الدين عند الاستهام

حملتَ لواء آدم غير شك ** وقوَّيت الأخوة بالتزام

جعلت العلم فوق الجهل دوما ** جعلت الذكر نهج الاستقام

تجوب الأرض في نشر العلوم ** وتصفية القلوب من الركام

نزلت بمصر تقفيةَ الإلوري ** أثرت الدين من دون الحُطام[٢]

ولرغبة الشاعر الشديدة في تحصيل المنافع والحكم أينما كانت، يُرى أحدَ الحضور في المسابقة العلمية السنوية التي عقدها اتحاد طلبة كلية دار الكتاب والسنة الأزهري بمدينة البعوث الإسلامية، فقال عن المسابقة:

إن التسابق نجحة, كن حاذقا ** وبه يصير الخامل العملاقا

واها لقد شاهدتُه وتمثَّلت ** أعطاؤه في ذهننا ترياقا

وخُض التسابق لا تكن متثاقلا ** تجد التسابق عندنا إشفافا[٣]

ومن آثار تقديره العلوم والآداب، قصيدته في تقريظ كتاب "الكواكب الدرية " للسيد عبد القادر يونس أوغانجا. والكتاب مجموعة المدائح النبوية التي وفِّق فيها الكاتب مصيبا لغرضه، ومنيبا إلى ربه بوسيلتها، وراجيا بها نيل أمانية، فكأنه ابن زهير الأزدي أو شوقي بك أحمد كما ذكر الشاعر الرحَّال؛ ومن أبيات القصيدة قوله:

حسب المدائح قربةً للساري ** أن المدائح بلغة الأبرار

تُطوَى له أبعادُ سعي المادح ** ويصان رغمَ الوحش في الأمثار

وصل الألى مدحوا جنابَ المصطفى ** أقصى مدى النقباء في المضمار

مدح الحبيب بلاغة ورشاقة ** وبراعة تُغنيك عن أسمار

مدح الحبيب عبادة ومهابة ** تُنجيك شرَّ مخالب الأنسار

فيه الإصابة والإنابة والمنى ** يعطيك من ألطاف ربي الباري

أجمل بصنعك، قد عهدتك شاعرا ** تحكي بشعرك نغمةَ البشَّار

يا شاعرا حزت المكانة والعلا ** في أيكة الحسَّان فالأنصاري

١- المرجع نفسه، ص ٤٠-٤١.

٢- المرجع نفسه، ص ٤٥.

٣- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

عظَّمت سهمك في تفاصل أسهُمٍ ** في شركة المدَّاح باسكندار
وعرضت شعرك سائغا مترنما ** تصف الرسول عزيمة الأحرار(١)

وعلى غرار وصف الأوضاع الثقافة العلمية في مصر العربية، فإن الشاعر لا يزال يُضيف إلى وصفه، كشفَ الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المضطربة في وطنه نيجيريا، موازناً بين المشاهدات والوقائع في البيئة المزارة وبين أوضاع بيئته الأولى التي أتى منها زائرا. وقد حضرته قصيدة في شكوى واقع الوطن النيجيري في جلسة الدعاء لبلاده العزيزة، والتي أقيمت في القاهرة. وانطلاقا من توظيفه لخبراته الثقافية ومعطياته النقدية، شرع ينقد البيئتين ذكراً لفضائلِ القاهرة ومناقصِ نيجيريا كما يبدو في قوله:

حرمتْ جنة وطني قلمي ** وبقيتُ في غمومي وهمي
إذ أحبُّ العود والرجع إلى ** مهبطي ومسقطي عند عمي
وتُحاشيني ظروف بلدي ** من شرود أو تطاير دم
أيَّ تغييب وتنفير أَرى ** في بلادي دون سبق مأثمي
وغلاء عند أسواق وما ** يستقيم العيش دون دسمي
ومتى أحلم أن أوصلكم ** ومتى يحلو (أيبوشي) بفمي
عشتُ في مصرٍ بروحٍ أغتدي ** وأمان وسنام سلمي
أشرب العذب بدون الانقطاع ** وضياء الكهرباء سَهمي
ويكون العيش أكلا ناله ** أهلها رغم فشوِّ العدم
وفطوري بحليب خصب ** وغذائي رُبع ديكٍ لزم
غير أن الأهل أسبوا فكرتي ** وصلهم عندي عزيز كدمي
يا بلادي هل تَرين ثُلَّةً ** من بنيكِ هاجروا في صمم
وقلوكِ إذ تعصَّتْ لهمُ ** عيشة الأحرار حتى درهم
فضَّلوا عيش العُبيد الآبق ** خارج الدولة رغم الوصم
شغلوا أنفسهم روم الجدا ** أهملوا أعراضهم كالغنم
يا رجال الله هُبُّوا وثِبُوا ** ولِجُوا بابَ الإله الأعظم(٢)

١- المرجع نفسه، ص ٣٧-٣٩.
٢- المرجع نفسه، ص ٣١-٣٢.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol5no1.7
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الخاتمة

حاول الباحث قضاء أوطار المقالة بتبيين تاريخ أدب الرحلات نشأة وتطورا عند العرب وفي نيجيريا، مع جعل الدراسة النموذجية لأعمال الشاعر إسحاق أيوب ببأوي الإلوري، وقد تمت الإشارة إلى مشكلة هذا البحث وأهدافه وأهميته التي من أجلها تم هذا الاختيار لتنقيب معالم الدين والثقافة والفن التي شاهدها في مصر العروبة عند انتظامه في دورة الأئمة والوعاظ العالمية، قاصدا في ضبط الحقائق مشاطرة القراء بتجاربه ومشاهدته لخلق التواصل العلمي والثقافي. ومن نتائج المقالة أن الشاعر لا تقل مقدرته الفنية ومهارته الوصفية في إيتاء الفن الرِّحَلي حقه، إذ قد وُفِّق إلى إصابة الوصف الدقيق للمظاهر الطبيعية في جغرافيتها وحيواناتها، والأوضاع الثقافية في آثارها ومعطياتها، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي رآها الشاعر خلافَ ما كان يعايشها في وطنه النيجيري، فعرضها وقارن بينهما، وذكر الحلول الدسمة لصلاحية المواطنين النيجيريين إذا أرادوا مسايرة روح العصر في رقيه ونجاحه فتلتحق بلادهم بركب الأمم المتقدمة.

ويوصي الباحث أدباء العربية في نيجيريا أن يستغلُّوا فرصة رحلاتهم العلمية لإثراء المكتبات الأدبية العربية النيجيرية بانطباعاتهم ومشاعرهم تجاه المشاهدات والوقائع، محبِّذين ما صلح من الآثار، ومحاولين تغيير ما فسد منها، كما فعل الشاعر ولو بلسانه وقلبه، فلم يبخل بإسهامه في تغيير المنكر على قدر الاستطاعة، والدعوة إلى وجوه الخير.

References

Al-Ḥaqīqi al-Ilory. Sulaimān Ṣāliḥ al-Imām. (2010). *Adab al-Riḥlah ʻInd al-ʻAllamah al-Ilory*. Kano, Nigeria: Maktabah Jamʻiyyah al-Abrār.

Al-Ilory, Ādam ʻAbdullah. (n.d). *Laqaṭāt min Qaṣāʻid al-Ilory*. Aghighi, Nigeria: Haiʼah al-Tadrīs bi Markaz al-Taʻlīm al-ʻArabi al-Islāmi.

Al-Murtaḍa, Muṣliḥ al-Dīn Yūsuf. (2017). *Al-Ittijahāt al-Fanniyah fī Adab al-Riḥlah li ʻUlamāʼ Bilād Yurbā*. Ilorin. Nigeria: Qism al-ʻArabiyyah, Jāmiʻah Ilorin.

Al-Yasuʻiy, Luis Maʻlūf. (1986). *Al-Munjid fī al-Lughah wa al-Aʻlām*. Beirut: al-Maktabah al-Sharqiyyah.

Baba-Oye, Ishaq Ayyub. (2009). *Adab al-Riḥlāt al-ʻArabi*. Qissah al-Riḥlah Namudhajan. Manuscript

Baba-Oye, Ishaq Ayyub. (2016). *Diwān al-Qalam al-Akhḍar*. Ilorin, Nigeria: Maṭbaʻah Kiudamilola li Khadamāt al-Kombūter wa al-Ṭibāʻah

Baba-Oye, Ishaq Ayyub. (n.d). *Qaṣīdah Astaghil Hadha al-Majāl*. Manuscript

Bodofo, Khalīl Allah Muhammad Uthman. (n.d). *Dirāsah Taḥlīliyyah li Makhṭūṭah Fatḥ al-Khalāq fi Riḥlah Ila Miṣr wa al-Ḥijāz wa al-ʻIrāq*. Manuscript.

Dayf, Shauqi. (1956). Al-Riḥlāt. Cairo: Dar al-Maʻārif.

Ghaladanthi. Sheikhu Ahmad Saʻīd. (1993). *Ḥarakah al-Lughah al-ʻArabiyyah wa Ādābiha fī Nigeriya*. Al-Riyaḍ

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn bin Makram al-Afrīqi. (1955). *Lisān al-ʻArab*. Cairo: Dar al-Maʻārif

Majma‘ al-Lughah al-‘Arabiyyah bi al-Qāhirah. (2004). *Al-Mu‘jam al-Wasīṭ*. Egypt: Maktabah al-Shurūq al-Dawliyyah.

Malete, Jāmi‘ah Wilāyah Kwārā. (2014). *Tarjamah al-Shā‘ir fī Majmū‘ah Ḥaṣād al-Ma’dabah*. Malete, Nigeria: Maṭba‘ah al-Jāmi‘ah.